Journal of University Studies for inclusive Research (USRIJ)
مجلة الدراسات الجامعية للبحوث الشاملة

Journal of University Studies for inclusive Research
Vol.1, Issue 3 (2020), 226-258
USRIJ Pvt. Ltd.,

علاقة الترجمة بالهوية

Relation of translation with identity

د .كريمة محمد كربية
Karima mohamed karbia
أستاذ مشارك بكلية التربية بالدلم التابعة لجامعة الأمير سطام بن عبد العزيز بالخرج المملكة العربية السعودية
كلية التربية بالدلم المملكة العربية السعودية

E-mail: k.karbia@psau.edu.sa

الملخص

تسعى هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على مفهوم الترجمة واستراتيجياتها وعلاقتها بالهوية في إطار التبادل الثقافي والمعرفي وبناء جسور التواصل والتلاقح بين اللغات والثقافات بين الشعوب. كما توضح هذه الدراسة الآثار التي تنتج عن الترجمة الثقافية كما تعالج هذه الدراسة الدور الهام الذي تضطلع به الترجمة في الحفاظ على الهوية الثقافية للنصوص المنقول منها أيا كانت اللغة المكتوبة بها، ولماّ كانت اللغة جزء لا يتجزأ من هوية الشعوب والأمم الثقافية فإن نقلها من تلك اللغة إلى لغة أخرى يعني الحفاظ على الهوية الثقافية لتلك الأمم والجماعات أو تشويهها في زمن العولمة التي تسعى فيه إلى إلغاء التنوع الثقافي وفرض الأنا وإرساء دعائم ثقافة عالمية موحدة، على عكس ما تسعى إليه الترجمة من إنقاذ الثقافة والهوية من التهميش والاقصاء ولعل ذلك لا يكون إلا بانتهاج أساليب التغريب و التوطين وترجمة الحرف والترجمة المكافئ الشكلي و الديناميكي.

الكلمات المفتاحية : الهوية الثقافية، الهوية، المكافئ الديناميكى، المكافئ الشكلي

Abstract:

This study seeks to shed light on the concept of translation, its strategies and its relationship to identity in the context of cultural and knowledge exchange and building bridges of communication and cross-fertilization between languages and cultures between peoples.

This study also shows the effects that result from cultural translation. This study also addresses the important role played by translation in preserving the cultural identity of the texts transmitted from them, whatever the language in which they are written, and since the language is an integral part of the identity of peoples and cultural nations, its transfer from that language To another language means maintaining the cultural identity of those nations and groups or distorting them in a time of globalization in which it seeks to abolish cultural diversity, impose the ego and lay the foundations of a unified global culture, contrary to what translation seeks to save culture and identity from marginalization and exclusion

Perhaps this is only by adopting the methods of alienation, localization, character translation, and anti-smooth resistance and the formal and dynamic equivalent effect.

Keywords: cultural identity, identity, Dynamic equivalent, Formal equivalents

➢ المقدمة

تعدّ منزلة الترجمة في الحضارات المختلفة، سواء توالت أم تعاصرت، من المؤشرات الدالة على حيويتها الذاتية وهي من تقنيات الاستفادة من خبرات بعضها البعض في إطار من التنافس في ما بينها. ذلك أن الترجمة هي في آن علامة تعاون وصراع بين الأمم، أعني أنها علامة كل تنافس معرفي وثقافي بين الأمم والحضارات.وبذلك تكون الأعمال المترجمة ليست ممثلة لظاهرة التلاقح الحضاري بين الشعوب، فحسب بل هي تمثل شرط التحرر من التثاقف الانفعالي المعيش. فتوسط اللغة الوطنية يحقق شرط الاستقلال الفكري بوصفها الغربال الذي تنتخب به الأمة ما تطلبه وما يستجيب لحاجة مشروعها التاريخي فينتقل التلاقح من موقف المنفعل إلى موقف الفاعل القادر على انتخاب ما يحتاج إليه واستبعاد ما لا يناسب مشروعه الحضاري.

والترجمة إذن هي ملازمة لتاريخ الحضارات، وهي من أهم الروافد التي يتم من خلالها التبادل الفكري والتفاعل الثقافي، والاطلاع على منتجات الأخر في مختلف المجالات، قصد إغناء الثقافة المحلية، وفسح المجال أمامها لتنويع مشاربها وتوسيع الآفاق التي تنتج منها .ولم يعد حضور الترجمة كأحد أهم الفعاليات الفكرية التي تترجم واقع المثاقفة وفكر الحوار وعقلية الانفتاح الذي أصبح يؤمن به جل مفكرينا ومثقفينا، محل مناقشة وانتقاد، لكن ما ظل يثير حفيظة كثير من النقاد والمفكرين الساهرين على تتبع حركة الترجمة ودراستها هو مدى إسهام الترجمة في تحقيق الأهداف المرجوة منها والمتمثلة في النهوض بالواقع الثقافي عامة، وتجاوز واقع التبعية والاستلاب لبلوغ مرحلة الفكر القائم على الحوارية والمثاقفة البناءة التي تفسح للآداب القومية مثلا الاطلاع على تجربة الآخر والاعتناء بها، مع حفاظها على طابع الخصوصية الثقافية لهذه الآداب .

والترجمة تنضوي تحت لائحة العلوم الإنسانية، وهذه الأخيرة – في رأي محمد وقيدي." لا يمكن أن تقع خارج الأيديولوجيا، وأن تتم بمعزل عنها" (الوقيدي، ١٩٨٣، صفحة ٣) ، على خلاف العلوم الدقيقة والتقنية التي لا تتشبع بالأيديولوجيا، ولا تقبل التجنيس، الأمر الذي يجعلها – أي العلوم الدقيقة أقل خطرا على القوميات، وأقل تهديدا للهويات، ويضفي عليها طابع العالمية والكونية، في مقابل العلوم الإنسانية التي تكون عادة أكثر التحاما بمظاهر الخصوصية الثقافية وتعبيرا عن التفرد والتميز .

- **ماهية الترجمة**

✓ **تعريف الترجمة :**

ترجم الكلام بمعنى فسّره بلسان آخر فهو ترجمان وترجمان، جمع تراجمه وتراجم ، ويقال ترجم بالتركية أي نقله إلى اللسان التركي و – عنه أوضح أمره، والترجمة جمع تراجم: التفسير، وترجم الكلام: التبس وترجم الرجل ذكر سيرته، والترجمة جمع تراجم: ذكر سيرة شخص وأخلاقه ونسبه وترجمة الكتاب فاتحه" (المنجد في اللغة و الأعلام مادة ترجم) وجاء في القاموس المحيط للفيروزأبادي في باب الميم في فصل التاء من أن: "التُرجمان" كعنفوان وزعفران وريهقان: المفسّرُ للسان وقد ترجمه، وعنه ، والفعل يدل على أصالة التاء" (الفيروزأبادي)

والترجمة ليست مجرد فعل لغوي يُعنى بنقل نصوص من علبة لغوية ووضعها في علبة لغوية أخرى، إنها أيضاً فعل معرفي وثقافي وفكري وحضاري وجهته المصالحة مع الذات والتقريب بين الشعوب والتعايش فيما بينها. كما تبقى الترجمة الحجر الأساس لكل انطلاقة حقيقية ومفتاح الدخول إلى ثقافة العصر: ثقافة التقارب والتعايش

➢ **مفهوم الهوية:**

الهوية هي الوعي باذات الحضارية و العمل على تطويرها وتمكينها في كافة مجالات الحياة لخدمة وتطوير جودة الحياة الإنسانية .

يُعرِّف المعجم الوسيط الصادر عن مجمع اللغة العربية "الهوية" فلسفياً بأنها: (حقيقة الشيء أو الشخص التي تميزه عن غيره، أو هي بطاقة يثبت فيها اسم الشخص وجنسيته ومولده وعمله، وتسمي البطاقة الشخصية أيضا"

وأما آراء المفكرين حول مفهوم الهوية فيلاحظ أن الأمر لا يختلف كثيراً، وإن كان يتصف بأنه أكثر تحديدا ، لأنه يرتبط بالبُعد الثقافي أو الاجتماعي للمصطلح، فقد عرَّفها سعيد إسماعيل علي بأنها: "جملة المعالم المميزة للشئ التي تجعله هو هو، بحيث لا تخطئ في تمييزه عن غيره من الأشياء، ولكل إنسان شخصيته المميزة له، فله نسقه القيمي ومعتقداته وعاداته السلوكية و ميوله واتجاهاته وثقافته، وهكذا الشأن بالنسبة للأمم والشعوب" (إسماعيل، ١٩٩٧، صفحة ٩٥)

✓ **مصادر الهوية**

أ- السمات الشخصية و تشمل العمر و السلالة و الجنس و القرابة و القومية قرابة الدم

ب- السّمات الثقافية: وتعني بالعشيرة، والقبيلة، والقومية، والدين .

ت- السّماات السياسية: وتختص بالوجود ضمن الجماعة، والزمرة، والقائد....الخ

ث- السّمات الاقتصادية: كالوظيفة، والعمل، والمهنة.

ج- السّمات الإقليمية: وتشمل البلدة ، والإقليم ، والمنطقة الجغرافية.

وتتكون الهوية من ثلاثة عناصر أساسية هي: العقيدة التي توفر رؤى للوجود واللسان الذي يجري التعبير به والتراث الثقافي الطويل المدى، وثاني هذه العناصر: اللغة وهي عنصر يميز ثقافة شعب ما عن ثقافة شعب آخر وآخرها التاريخ . إذن فالهوية في غاية الأهمية ومنها يكون المنطلق للمصالح والأعمال حيث لا يمكن للأفراد أن يفكروا ويتصرفوا بعقلانية في متابعة مصالحهم الخاصة والعامة إلا إذا عرفوا أنفسهم فسياسة المصالح تفترض وجود الهوية.

والحديث عن مفهوم الهوية هو حديث عن مسألة ذات طابع فلسفي بامتياز، نظرا لما تحمله هذه الكلمة من معان متصلة بالكائن الإنساني في كينونته وتوجهاتها المعرفيةوالفكرية، بل وتشمل كل ما له من صلةبقوميته وأصالته، فقد مثلت مسألةالهويةأهم المحاورالأساسيةالتي اشتغل بها الباحثون، نظر لتلك المعطيات التي تفرزها علاقة الأنا بالآخر المختلف، وبالمعرفة المتبادلةبين هذا وذاك، فالاختلاف هومعطى أساسي يدعوإلى التفكيرفي الذات وهويتها، وفي الآخر وهويته.

فالعامل الأول الذي نجده في ذلك وبصورة ظاهرية هو اللغة كاختلاف لساني يقف على رأس جميع المسائل المتباينةبين الهويات المختلفةفي هذا الوجود، على المهتمين بالعلم والأدب، والثقافةبصفة عامة يطرقوا باب الترجمة كمدخل أساسي في فهم الآخرفي لغته وثقافته وهويته سواء بالتأثيرأوالتأثر وبذلك غدت عملية الترجمة ضرورة ملحّةللتقرب من الحقائق عبروسيط اللغة التي لم تعد عملية لغويةفحسب، بل أصبح عاملا مهما في إثبات الذات نحو الآخر، والآخرنحو الذات، والهوية في مقابل الهوية الأخرى .

- **فبأي معنى تظهرالترجمة؟ وفيما تتمثل ملامحها أثناء بلورة مفهوم الهوية؟**

لقد حظيت الترجمةمنذ القدم باهتمام واسع لأهميتها البالغةفي مختلف المجالات، وهذا الاهتمام فرضته الحاجةإلى ذلك، فالشعور بالحاجةإلى دراسة ما للآخرمن نماء معرفي لا يتم إلاّ عبرأداة

الترجمةالتي تسهم في تفعيل ثقافتنا ضد الركود الذي تشهده، والذي لا نجد له مثيلا في أية حضارة أولغة، في وقت يعيش فيه العالم انفتاحا منقطع النظير، على التنوع لدفع المسيرة الحضاريةإلى التحديث .

- **تجليات اللغةبين الترجمةوالنص**

ارتبطت الترجمةبعدة حقول معرفيةمتنوعة، فكان لها ذلك الدور البارز في تقريب وتوضيح المشكلات المعرفيةالتي طرحت عبرالعصور، وكذا نقل الخبرات والمعارف المختلفةبين الشعوب في تعددها وتنوع ألسنها ولغاتها، كما أنها مسألة لغويةترتبط بالنصوص ارتباطامباشر .

وكل نص بطبيعته يحمل دلالات ومعاني مختلفة، ومن ثم وجب معرفتها وفهمها، أي ترجمتها لذلك نجد الترجمة ناشطةفي كل الثقافات المندفعةفي إحياء لغتها وتوسيع أفاق فكرها، ومدى وجودها،" فالآخرالمختلف هو الهناك المجهول والغامض والمخيف، والترجمة هي بدايةتفكيك لسحره ووهجه بأن تجعله مقروء و مفهوما ومفسرا" (جاسبير، ٢٠٠٧، صفحة ٩)

فالنص عندما يترجم، كأنه يقوم بانتقال وتحول لغوي انطلاًقامن لغته إلى لغة أخرى وهنا يكون هذا النص قد افتتح حياة أو عالما معرفيا جديدا رغم احتفاضه فيكثيرمن الأحيان بلغته الأصلية بكل سلطتها ومرجعيتها، ومعاييرها ونظام إنتاجها وتحكمها. " إذ ليست المسألة مجرد خلع النص الجديد لثوب لغوي سابق وارتداء ثوب لغوي آخر، بل هي عملية التحام وتشابك بل وصراع بين لغتين أوأكثر، تنتهي

بتسويةلغويةبين ما عبّر عنه في اللغة الأولى و ما يمكن أن يعبر عنه في اللغة الثانية، بحيث يصبح الشكل الجديد للنص عبارة عن انصهار فضاءبين، فضاء لغةالنص الأولى، وفضاء لغة الترجمة الثانية بكل أحمال أو أثقال الفضاءين الثقافية و الاجتماعية الثقافيةوالاجتماعية والسلطويةبل و الدينية" (جاسبير، ٢٠٠٧، صفحة ٨).

فالترجمة وفق هذا الطرح المعطى تقدم نوًعامن العلاقةالمعرفيةبين الألفاظ المختلفة، قصد توضيح المعنى وجعله أكثر تماسكا حول ما يذهب إليه، أوما يعبر عنه داخل ذلك الاختلاف اللغوي، الذي يصبح اختلاًفا يسعى إلى تحقيق التلاؤم بين لغةالنص الأصليةولغته التي ترجم إليها، حيث يصبح هذا النص يحمل شكلا متكامًلا، رغم تلك السياقات المختلفة. "فالعهد الجديد في الإنجيل، كتب بلغةيونانية رغم أن المسيح كان ناطًقا بالعبرية أو الآرامية، والمسيحيون يقرؤون الإنجيل بكل لغات العالم، ويعتقدون أن المسيح أوالله يخاطبهم بلغتهم " (جاسبير، ٢٠٠٧، صفحة ٧).

فبالرغم من هذا التعدد اللغوي إلَّا أن النص ضل واحًدامع أن طريقةتناوله تعددت حسب تعّدد تلك اللغات المختلفة، و رغم أن كليلةودمنةوقصص ألف ليلةوليلة، هي ذات أصول هنديةإلَّا أن واسطتها إلى العالم كانت باللغةالعربية، وكذا الأمر بالنسبةإلى التراث اليوناني، كذلك فان كل الحكايات الأسطورية الكبرى، ابتداءً من قصص الأطفال الخياليةإلى الملحمية كالإلياذة، كانت حاضرة بشكل عضوي داخل كل ثقافة، بحيث يعتقد غير الملتفت لأصولها الأولى أنها حكايةرمزيةلتجارب محليّة خاصةبه .

قد يحافظ النص إذا على طابعه الخاص والأجنبي داخل ثقافات أخرى دون أن يحس القارئ أوالمستمع بغربة ذلك النص بالرغم من ظهوره في لغةأخرى .فاللغة كينونةمستقلةلها فضاؤهامن العلامات والبيانات، وعالمهامن الإحالات والمجازات تنساب في كل كائن، لأن كل حقيقةوجودية هي كينونةلغوية،

ليس بالمعنى الحصري الذي يجعل منهامجرد تركيبات نحوية، وتنسيقات منطقية، وإنما بالمعنى الوجودي كإرادة في التعبير لا تستنفذ مضمون ما تريد قوله ووصفه، فهي لا تحيل فقط إلى مرجعية خارجية أو ميتالغوية و إنما تحيل أيضا إلى مرجعيتها الداخلية وفضائها الجواني.

فالترجمة ليست عمل سطحي يكتفي بنقل معنى لغوي من لغةإلى أخرى، بل إن وظيفتها أسمى من ذلك فهي تعمل على اكتساب ثقافة الفهم الذي نسعى إلى تفسيره وتوضيحه، فالترجمة تستحيل دون فهم دقيق وصحيح مثل الفهم الذي نستعين به في إدراك خطاب في لغتنا الأم وعليه، نظام الأشياء هو على النقيض من ذلك، عندما نفهم النص يمكننا عندئذٍ مباشرة الترجمة، لأنه لا يمكننا الشروع في الترجمة دون أن نفهم مسبقًا حول ما ذا يدور موضوع النص .

- **الترجمة ومفهوم الهوية عبرممر اللغة :**

لقد جعلتنا الترجمةنهتم بقضيةالهويةانطلاقًامن علاقة الأنا بالآخر، ومن خلال عامل اللغة كنقطةأساسيةفي هذه العملية، إضافةإلى اعتبارأن اللغة هي مكون من مكونات الهويةنفسها، ومن ثم أصبح كل نص ينتجه الآخر مهما كان موضوعه لا بد أن يخضع لترجمة معينة حسب الحاجةإلى ذلك.

فالآخر هو مفترض كما يقول بول ريكور: " إن الآخر مفترض مسبقامنذ البداية... اعترف أن الآخر ليس احد موضوعات أفكاري، ولكنه مثلي، فاعل حقيقي للفكروأنه يدركني أنا نفسي كآخر غير هو إننا معا نستهدف العالم العالم كطبيعة مشتركة، وإننامعا أيضا نبني مجموعات أشخاص قادرة على أن تتصرف بدورها على مسرح التاريخ كشخصيات من درجة عليا... فالفرضية التي أكون فيها أنا وحدي.

فإن هذه التجربة لا يمكن أن تصبح قادرة على الشمولية من دون معونةالآخرالذي يساعدني على جمعي لذاتي وتثبيتي ومحافظتي على إبقائي داخل هويتي" (بهاوي، ٢٠١٢، صفحة ٣٧)

فالهوية تتحدد انطلاًقامن معرفةالأنا لذاتها، وذلك بمعونة الآخرالذي نكتشف هويته من خلال مشاركته في هذا العالم، ولعل الترجمة كعمليةمعرفية تساعدنا على ذلك بعد استهدافنا لمختلف النصوص في تنوّع موض وعاتها.

تتألف عمليةالترجمة عند بول ريكور من قطبين أساسيين: "الأجنبي أوالغريب والقارئ، أما المترجم فهو الواسطةبينهما، إذ هوالناقل لرسالة الأجنبي إلى لغةالقارئ، وهو يقوم بذلك تعترضه مشاكل الترجمة سواءمن جهة اللغة الغريبة أو من جهة اللغة التي سيترجم فيها رسالةاللغةالغريبة، هذا فضًلا عن مدى إخلاصه هو أو خيانته لمدى صدق الترجمة" (العقيبي، ٢٠١٢، صفحة ٢٤٣).

وهو يتساءل هنا في ظل هذه المعطيات حول فكرة رئيسية هي: **هل الترجمة ممكنة أم مستحيلة؟ وهل نترجم المعنى أم الكلمات؟**

و تجاوزا لهذه التساؤلات يذهب إلى القول:" بأن الأعمال العظيمةقد شكلت على مر العصور موضوع ترجمات متعّددة، ولهذا يرى أن الترجمة هي تحًّد، هذا الأخير الذي يقول عنه بيرمان:" إنه يّتخذ من المعنى وسلطةالترجمةرهاًنا"" (ريكور، ٢٠٠٨، صفحة ١١)

معنى ذلك أن موضوع الترجمةبأهميته، وتعّدده هوالذي يجعل منها ترجمة دائمة الحضور تحاول الوقوف كسلطة معرفية مع كل نص يتضمن موضوعا يدعو إلى الالتفات، بما أن الترجمة مرادفة للتأويل، وهذا الأخير يشير إلى الاختلاف في الفهم، لأن هناك آراء متعّددة ومعان مختلفة، فهي تدل على

فهم وتأويل معين لرسالة تحملها لغة ما قصد نقلها إلى لغةأخرى، فقد دافع ريكور عن فكرة التدرج من الفهم إلى التفسير فالتأويل، " ومن هنا يغدو كل مترجم مؤولا" (ريكور، ٢٠٠٨، صفحة ١٢)

يريد أن يبين أن النص يصبح ملكا للمترجم فهوالذي يحرره و يدفعه للعيش وبالتالي يصبح المترجم ندا للمؤلف، فهذا الأخير ينتج النص للمرة الأولى أماّ المترجم فيعيد إنتاجه عدةمرات، فتُمنح له الحياة كلما تتم إعادة ترجمته من جديد، وفي ذلك تفعيل لهذه اللغةوتطويرهامن خلال عملية القراءة، فيصبح المترجم أفضل قارئ للنص باعتباره مصححا ومحقًقا له بل يصبح كاتب جديدا لهذا النص، فالقراءة فعل تأويلي ينتج النصوص، وهذه الأخيرة هي التي، تسمح بتعّدد القراءات مثلما تتعّدد الكتابات.

و لكن لا نغفل أن ريكورقد شَّد الانتباه إلى قضيةأخرى ألا وهي علاقة الذات بالموضوع، والأنا بالآخر، والهوية بالهويةالأخرى، وهي" إشكالية حقيقية تطرح على المترجم الذي يجد نفسه أمام خيارين لا ثالث لهما إما أن يقرّب المؤلف من القارئ، و هنا يقوم بعمليةإلحاق ودمج للعمل فيلغي خصوصيته أو يقرب القارئ من المؤلف، فيعمد إلى تغريبه، وهي الفكرة التي أثارها شلاير ماخر بحدة في أكثرمن موضع من بحثه" (ريكور، ٢٠٠٨، صفحة ١٢)

عمليةالترجمة إذن تستدعي من المترجم أثناء عمله أن يقف على أطراف هذه العملية المعرفية، بدايةمن المؤلف الذي حرّر النص ، إلى القارئ المتقبل لهذا النص ، لأن هوية الأول قد تختلف عن هوية الثاني كما أن ثقافة الأول يمكن أن تختلف أيضا عن ثقافة الثاني، ومن ثم وجب عليه احترام تلك المسافة الثقافية بينهما

- **الترجمة ودورها في الحفاظ على الهوية الثقافية**

ولما كانت اللغة جزءا لا يتجزأ من هوية الشعوب والأمم الثقافية فإن نقلها من تلك اللغة إلى لغة أخرى يعنى الحفاظ على الهوية الثقافية لتلك الأمم والجماعات أو تشويهها في زمن العولمة التي تسعى فيه إلى إلغاء التنوع الثقافي وفرض الأنا وإرساء دعائم ثقافة عالمية موحدة، على عكس ما تسعى إليه الترجمة من إنقاذ الثقافة والهوية من التهميش والإقصاء التي تُعَدٌّ الإطار النفسي والفكري العام للمجتمع الذي يعبر عن وجوده الاجتماعي، ولا أحد ينكر ما للترجمة من أهمية قصوى في جميع مناحي الحياة فهي التي عاصرت الإنسان مند القدم وبها عرف الإنسان حضارات الشعوب الأخرى وثقافاتها وعلومها، فلولا الترجمة لما عرفنا علوم اليونان ولا عرف الغرب علوم العرب ذلك أن الترجمة أكبر مساهم في بناء الحضارة الإنسانية و تكاملها فهي التي تبني الجسور بين الأمم والجماعات وهي البوابة التي تعبر منها الذات إلى الآخر والتعرف عليه ولا تزال الترجمة الوسيلة الأساسية في التفاعل الثقافي مع الغير و اكتساب المعرفة منه .

فالترجمة إذن ليست مجرد فعل لغوي فقط إنما هي فعل ثقافي وحضاري يعمل على نقل المعرفة كما يعمل تماما على إنقاذ الهوية الثقافية من التهميش والضياع، فلولا ترجمة شاطو بريان (chateaubriand) لأعمال ميلتون "(Milton) لضاعت الملحمة الشعرية " الفردوس المفقود "لميلتون ولولا الترجمة العبرية لأعمال الفيلسوف العربي ابن رشد لضاعت فلسفة ابن رشد، فالترجمة إذن تسهم في الحفاظ على ذاكرة الأمم وموروثاتها، وهوياتها وثقافاتها، لكن السؤال المطروح هنا هو: هل تستطيع الترجمة بوصفها فعلا حضاريا وثقافيا كبح جماح الهيمنة الثقافية ؟

وهل بإمكانها المساهمة في الحفاظ على الهويات الثقافية للأمم المغلوبة على أمرها بانتهاج أساليب التغريب؟

للإجابة عن هذه التساؤلات سنحاول تبين علاقة الهوية بالثقافة في ظل العولمةكما سنعمل على ابراز دور الترجمة في الحفاظ على الهوية الوطنية و الثقافية.

- **علاقة الهوية بالثقافة في ظل العولمة**

  - **الترجمة و العولمة :**

تُعرف العولمة بأنها إكساب الشيء طابع العالمية وذلك بتوحيد المفاهيم والثقافات، كما تعمل على خلق تواصل ثقافي بين الشعوب المختلفة من خلال سياق الثقافي العالمي بخلاف الترجمة التي تسعى إلى التواصل بين الشعوب والحفاظ على الكينونة الثقافية لكل أمة فالعولمة نقيض الترجمة ويمكن وصفها بعمليتي بناء وهدم. فالترجمة بناء جسور التواصل من خلال تعدد اللّغات والثقافات، أما العولمة فتسعي إلي التفرد في كل شيء وتسعى إلى هدم كل اللغات والثقافات وبناء ثقافة واحدة ولغة واحدة، ويرى معارضي العولمة أن العولمة تفضي إلى الاستلاب الثقافي وتدمير الهوية الوطنية ورائدي العولمة وفلاسفتها لا يكنون سوى الإحتقار للثقافات الأخرى غير الغربية وهم يصفونها بأنها مناقضة للتقدم وللعلم .

ويُعرّف العولمة على أنها حصيلة المستجدات والتطورات التي تسعى بقصد أو من دون قصد إلى دمج سكان العالم في مجتمع عالمى واحد وهذا العالم يكون مزودا بثقافة واحدة مرتبطة بأدوات الهيمنة التكنولوجية والإعلامية مما يجعل دور الترجمة الثقافية غير مؤثر في ظل هيمنة ثقافة ولغة العالم الواحدة، ومما لاشك فيه أن دور الترجمة سيلغى تماما وتتلاشى الفجوة بين الثقافات و تسيطر الثقافة الواحدة مما يؤدي إلى الغاء الهوية التي لازالت الترجمة الثقافية تحاول الحفاظ عليها تشجع على التنوع الثقافي.

✓ **علاقة الهوية بالثقافة:**

ثمة علاقة وثيقة بين الهوية والثقافة وهي تعني علاقة الذات بالإنتاج الثقافي، والثقافة كما عرفها محمد عمارة "هي كل ما يسهم في مران النفس وتهذيبها فالتثقيف من معانيه التهذيب وإن كانت "المدنية" هي تهذيب الواقع بالأشياء فإن الثقافة هي تهذيب النفس الإنسانية بالأفكار والعقائد والقيم والآداب والفنون وكلاهما: الثقافة والمدنية عمران ، عمران للنفس و عمران للواقع " (عمارة، ١٩٩٩، صفحة ٥)، ولقد جاء مبعث التميز في الثقافات كثيرة لتُميّز النفس الإنسانية في كل حضارة من الحضارات، وذلك لتُميّز المكونات والموروثات والعقائد والفلسفات والعادات والأعراف التي مايزت بين البصمات الثقافية في أمم هذه الحضارات، وما من هوية إلّا وتختزل ثقافة. والهوية تدل وتعبّر عن ماهية وحقيقة الكائن إنسانيا كان أو غيره فرديا كان أو جماعيا و تحدد المكونات والخصائص التي تميزه عن غيره، والكائن المقصود هنا هي الثقافات والهويات الثقافية و هي متعددة بتعدد المقومات التي تقوم عليها الهويات مثل: الدين واللغة والعرف والتاريخ والمصير المشترك وغيرها، والثقافة بحكم تركيبها قد تحتوي العناصر المذكورة جميعها و داخل هذا الكل المركب والمنسجم يوجد من العناصر ما هو جوهري وأساسي ورئيسي وما هو فرعي وثانوي ومكمّل وإضافي، فإذا كانت الهوية الثقافية تدل على ماهية الإنسان فكريا وثقافيا وحضاريا فإن الهوية تدل على الثقافة وتعبر عن مكوناتها وعناصرها فلكل ثقافة هوية وأيّ ثقافة من غير هوية هي عدم ولا وجود لها وبمقدار تعدد و تباين الثقافات تتعدّد الهويات و تتباين .

✓ **الهوية الثقافية**

" هي ذلك القدر الثابت والجوهري والمشترك من السمات والقسات العامة التي تميز حضارة أمة عن غيرها من الحضارات والتي تجعل للشخصية الوطنية أو القومية طابعا يتميز به عن الشخصيات الوطنية الأخرى " (كنعان، ٢٠٠٨، صفحة ٤٢٠) وتعرف كذلك على أنها "ذلك المركب المتجانس من الذكريات والتصورات والقيم والرموز والتعبيرات والإبداعات والتطلّعات التي تحتفظ بجماعة بشرية تشكل أمة أو في ما معناها بهويّتها الحضارية في إطار ما تعرفه من تطورات بفعل ديناميتها الداخلية وقابليتها للتواصل والأخذ والعطاء، وبعبارة أخرى هي المعبّر الأصيل عن الخصوصية التاريخية لأمة من الأمم، عن نظرة هذه الأمة إلى الكون والحياة والموت والإنسان ومهامه وقدراته وحدوده." (كنعان، ٢٠٠٨، صفحة ٤٢٢)

✓ **أهمية الهوية الثقافية:**

يكتسب موضوع الهوية الثقافية أهمية بالغة خصوصا في المرحلة الحاسمة التي يم بها العالم أجمع والتي تتهدد فيها الهويات بالتلاشي والذوبان في الهوية الغازية والغالبة ويتعرض فيها التراث الإنساني لحملات من المسخ والتشويه والتقليل من قيمته والنيل من فعاليته في صيانة حقوق المجتمعات الإنسانية وفي التشبّث بقيمها التراثية وهوياتها التاريخية التي هي العمود الفقري لخصوصياتها الروحية ولمكوّناتها الثقافية ولسماتها الحضارية، ولعل صراع الهوية عند الأمم هو أعظم من صراع الأرض و الثروة و في هذا السياق يقول عبد السلام المسدي " إنّ الصراع على

الأرض و الصراع على الثروة والصراع على الماء كلها مطايا للصراع على السيادة وعلى المجد وكلها صراعات بادية للعيان، لكن الصراع الأدق والأعمق والأبقي وربّما الأعنف إنما هو صراع الهويات. " (المسدي، ٢٠١٣، صفحة ٣٠٥)

- **الترجمة ودورها في الحفاظ على الهوية الوطنية والثقافية**

  - ✓ **أهمية الترجمة**

لقد أصبحت الترجمة اليوم ضرورة من ضرورات الحياة ووسيلة اتصال لا غنى عنها، حيث تساعد على تقوية وشائح التفاهم بين الشعوب وهي حلقة وصل أساسية لتبادل المعرفة والثقافة والأفكار في مجالات فكرية وعلمية وثقافية شتّى . وتبقى الترجمة بدورها وفائدتها دوما تنافس وغيرها من النشاطات العلمية والفنون العملية وذلك بطبيعة الحال لما يميزها من كونها قناة ناقلة الثقافات وموصلة لزاد الأمم من الأنا إلى الآخر، فهي وسيلة تفاهم و تواصل بين الشعوب والثقافات المختلفة منذ عهود طويلة، وإن أهميتها في تزايد مستمر تبعا للتطورات الحاصلة عبر التاريخ وتعد الترجمة الخيط الناظم الذي يربط المجتمعات ويدعم نسيج الحضارة الإنسانية والترجمة ذات أثر ثقافي تسهم في تشكيل الوعي وتنوع الموروث الثقافي والفكري وتعزز من وسائل فهم العالم الآخر ، كما أن دورها مهمّ في حوار الحضارات وليس تصادمها بهدف تقوية التواصل في فهم الآخر في إطار م التّعاون المبني على الاحترام المتبادل والأمانة والدقة، كما لا يمكن إنكار دورها في إثراء الحياة الاجتماعية والعلمية والثقافية. و المتبع لتطوّر الحضارات الإنسانية وتنامي التقدم العلمي يجد أن الترجمة ظاهرة تسبق كل إنتاج حضاري من منطلق إثبات الذات والهوية وليس تشويهها ومحوها كما أن للترجمة دورها الواضح في تبيان اختلاف التجربة الإنسانية وتنوعها سواء في عاداتها وتقاليدها، ولغاتها وثقافتها، وطريقة عيشها، وفهمها للحياة الواقعية والميتافيزيقية، و مما لا شك فيه أنه من المتعذر فصل اللغة عن الهوية وعن الثقافة، فاللغة جزء لا يتجزأ

من الهوية الثقافية في حياة الأمم والشعوب، وعند فعل الترجمة فإننا لا ننقل فقط لغة القوم بقدر ما ننقل ثقافته وهوية شعبه، ولذلك تعد الترجمة بمثابة الجسر الثقافي واللغوي الذي يربط بين تلك المجتمعات ليبيّن اختلافاتها وتنوع هوياتها وثقافاتها .

- **أشكال الترجمة:**

لقد فرق المنظر الأمريكى يوجين نايدا (Eugene Nida) منذ ستينيات القرن الماضي بين اتجاهين أساسيين في عملية الترجمة ووصفها نايدا بالشكلين الأساسيين من التكافؤ : **الديناميكى والشكلى.**

- ✓ **التكافؤ الديناميكي:**

وقد عرف نايدا الترجمة التي تسعى إلى إنتاج مكافى ديناميكي بأنها " الترجمة المبنية على أساس التأثير المكافئ ولا نهتم كثيرا في مثل هذه الترجمة لمكافي الرسالة في لغة المتلقي بالرسالة في لغة المصدر بل بمكافأة العلاقة الديناميكية ، أي يجب أن تكون العلاقة بين المتلقي والرسالة أساسا نفسها كما كانت موجودة بين المتلقين الأصليين وبين الرسالة " (Nida, 1964, p. 159) .

ويرى نايدا أن الترجمة ذات التكافؤ الديناميكي لا تسعى إلى إفهام القارئ ثقافة وبيئة لغة المصدر وإنما تحاول ربط المتلقي بها هو موجود في بيئته وثقافته، وتهدف الترجمة ذات المكافي الديناميكي الوصول إلى عدم التصنع والتكلّف في التعبير بل تحاول ربط المتلقي بأنماط السلوك ضمن السياق الخاص بثقافته، وهي لا تُلحّ على المتلقي فهم الأساليب الثقافية لسياق اللغة المصدر من أجل فهم الرسالة . والترجمة ذات المكافي الديناميكي هي تطويع أي تكييف الرسالة للوفاء بالاحتياجات اللغوية والتوقعات الثقافية للمتلقي، ويهدف هذا التطويع إلى أن يكون التعبير طبيعيا تماما وهذا معناه خلو اللغة المستهدفة والمستقبلة من آثار تدخّل اللغة المصدر.

✓ **التكافؤ الشكلي:**

و قد عرفه نايدا على انه الاهتمام بالرسالة نفسها في الشكل والمضمون ويتم الاهتمام في مثل هذه الترجمة بتلك التطابقات كتطابق الشعر بالشعر، والجملة بالجملة والمفهوم بالمفهوم، ويسعى المترجم في هذا النوع إلى موازنة رسالة لغة الأصل مع رسالة اللغة المستهدفة بعناصرها المختلفة ، وهذا يؤدي بالمترجم–حسب نايدا– إلى مقاييس الدقة والضبط وهو يؤدي بدوره إلى الشروح والتفاسير، والهوامش، والحواشي؛ حتى أن نايدا (Nida) جعل الترجمة ذات الحواشي هي الشكل الأكمل والأتم للمكافئ الشكلي، وقد ضرب نايدا مثالا حول هذا النوع وهو"(holykiss) : أي: (القُبلة المقدسة) والتي يتمَ نقلها في هذا النوع من التراجم (المكافئ الشكلي) بصورة حرفية ثم يتم تذييلها بهامش يفسّر هذا الأسلوب على أنه أسلوب تحية متعارف عليه في أزمنة كتاب العهد الجديد " (Nida، ١٩٦٤، صفحة ١٥)

والملاحظ هنا في المكافئ الشكلي أنه نقل هوية وثقافة ما كان متعارف عليه في أزمنة كتاب العهد الجديد

وهنا تضطلع الترجمة بدور كبير في الحفاظ على الهوية والثقافة، ونايدا من المنظّرين المعاصرين الذين يرجحون كفّة المكافئ الديناميكي على الشكلي أي التوجه نحو اللغة المستهدفة – كما يعتبر نايدا أن المترجم الذي ينتج ترجمات ذات مكافئ ديناميكي هو مترجم واعي تماما بدرجة التشويه، وهي نظرة لاقت نقدا لاذعا من منظرين معاصرين مثل : أنطوان برمان(Antoine Berman)، ولورانس فينوتي (Lawrence Venuti)، وهنرى ميشونيك (Henri Meschonic)

وقد كان من بين هموم أنطوان برمان تحرير عملية الترجمة من الستر والحجب أي تحرير الترجمة من ستر وحجب هوية وثقافة النص المصدر وهي عملية تقوم بها الترجمة ذات المكافئ الشكلي،

والمقصود هنا إبعاد الحرف والنقل الشكلي لحساب المعنى، فعند عملية الترجمة يسعي المترجم عادة إلى مقاومة النقل الشّكل ونقل الدّوال وهذا يؤدي إلى حجب الترجمة و منه إلى حجب ثقافة وهوية لغة المصدر بحجة إفهام قارئ اللغة المستهدفة، والهدف من الترجمة – حسب برمان – ليس هو نقل المعنى من اللغة الأصل إلى لغة المتلقي ومحو آثار النص الأصل وإيهام القارئ بأن النص المترجم كما لو أنه كتب بلغته الأصل، وهنا يناقش برمان عدة مفاهيم ليوضح أن ما يجري في عمليات الترجمة هو محو هوية وثقافة النص المصدر ولابد من الوقوف ضد هذا الاتجاه في الترجمة وأُولى هذه المفاهيم هي الترجمة المتمركزة عرقيا و الترجمة التحويلية

- ✓ **الترجمة المتمركزة عرقيا و الترجمة التحويلية:**

ويقصد برمان بالتمركز العرقي هو "اللجوء إلى الترجمة التي ترجع كل شيء إلى ثقافتها الخاصة وإلى معاييرها وقيمها وأن كل ما هو خارج عن هذه الثقافة: غريب أو سلبي أو لا بأس أن نلحقه ونكيّفه من أجل إثراء هذه الثقافة" (Berman, 1999, p. 29) . ويبدو أن أصل الترجمة المتمركزة عرقيا يعود إلى روما، فقد بدأ المؤلفون اللاتينيون الكتابة باليونانية ثم شرعوا بعد ذلك بالترجمة ذات النطاق الواسع لمجموع النصوص الإغريقية، وفي واقع ا الأمر، لقد كانت عملية وضع صبغة لاتينية وعملية ضم وإلحاق أكثر منها عملية ترجمة بمعنى محو آثار النص المصدر وهو ما يعني عدم الاعتراف بهويته وثقافته، حتى أن برمان نفسه يرى أن هذه النظرة اللاتينية للترجمة تعود إلى التفكير الإغريقي أي إلى أفلاطون الذي أسس القطيعة بين المحسوس والمعقول، وتقوم الترجمة المتمركزة عرقيا على مبدأين أساسيين ومترابطين، فالمبدأ الأول هو أن لا تشعر القارئ بأن هناك ترجمة بمعنى أن النص المترجم كأنه كُتب باللغة المترجم إليها وهو ما يعني كذلك اختفاء أثر اللغة الأصل، أما المبدأ الثاني فهو نتيجة

للمبدأ الأول: وهو أن الترجمة مطالبة بتقديم نص يكون هو نفسه ولديه نفس التأثير على قارئ اللغة المستهدفة (Berman، ١٩٩٩، صفحة ٣٥)

والترجمة المتمركزة عرقيا تشبه إلى حدّ كبير الترجمة ذات التكافئ الديناميكي التي اقترحها نايدا .

أما المفهوم الثاني عند بر مان فهو: **الترجمة التحويلية**، وهي تعود إلى كل نص يتولد عن التقليد، والمحاكاة الساخرة... والتكييف والانتحال أو أي نوع آخر من التحويل الشكلي أو أي نوع آخر موجود سلفا ، ويعتبر برمان أن الترجمة المتمركزة عرقيا هي واقعة تاريخية بغض النظر عن كونها ميولا مقترنة بتصفية كل ما هو غريب بغرض استيعابه في لغة المتلقي.

لقد ظلت الترجمة المتمركزة عرقيا والترجمة التحويلية نمطين أو صيغتين معتمدتين منذ قرون وأن كل ما شذّ عليها ليس مقبولا وبسبب هذين النمطين أتُّهم فعل الترجمة بالخيانة والتحريف، لأنه يمحي خصوصيات الآخر ويعوضه بثقافة اللغة المستقبلة ومعاييرها الخاصة وقيمها ويعتبر أن كل مالا يتطابق معها ومع قالبها الثقافي هو بمثابة الآخر والغريب.

- ✓ **ترجمة الحرف:**

لقد اقترح برمان ما سمّاه ب : " ترجمة الحرف " من أجل الحفاظ على هوية وثقافة الآخر، وترجمة الحرف في هذا المقام ليست الترجمة الحرفية بل هي إستراتيجية في الترجمة، وهي مقاومة لكل

أساليب التحريف والتشويه، وقد انطلق برمان في تحليله للترجمة من الميولات التحريفية والتشويهية التي يمارسها المترجمون من هدم لحرف النص الأصل وجسديته ونظامه لفائدة المعنى، وهذه الميول التحريفية هي نسق كلي يرسم بعمق ما دعاه برمان ب " الحرف"

و قد بين برمان في كتابه " الترجمة والحرف " إلى ثلاثة عشر نوعا من هذه الميول التشويهية، وحسب برمان فإنه يمكن لبعضها أن يتقاطع مع البعض الآخر أو ينحدر منها، ومثل هذه الميول التي يمارسها المترجمون نذكر مثلا: العقلنة التي تهتم في المقام الأول بالبني النحوية للنص الأصل وكذا وضع علامات وقفه التي تعتبر عنصرا دقيقا في النص النثري، وتعيد العقلنة تركيب الجمل ومقاطعها وتنظّمها على حسب فكرة معينة لنظام الخطاب، و حسب برمان – "فإن النثر الكبير سوء أكان رواية أو رسالة أو مقالة يحتوي عادة على الكثير من الأسماء الموصولة، وكذا التكرار وأسماء الفاعل، والجمل الاسمية، والطويلة، وباسم العقلنة يتم تهديم وتشويه كل ما سبق ذكره " (Berman، ١٩٩٩، صفحة ١٣)

كما أن برمان يرفض أن يحدد المترجم لنفسه هدف إيصال الأعمال الأدبية إلى الجمهور ، وأن من يفعل ذلك هو مترجم يضطر إلى القيام بتنازلات إلى جمهوره لأن الأفق المرسوم له بالضبط هو هذا الجمهور، وأن هذه المسألة تستجيب لقانونين اثنين يخصان عملية التواصل القانون الأول : هو أنه كلما اتسع مجال انتشار الرسالة كلّما تقلص مضمونها، أما القانون الثاني:" فيتمثل في وجود قطبين للتواصل مع شخص ما، وغالبا ما ينتصر القطب الثاني، وهذا – حسب برمان – راجع إلى وجود خلل داخل عملية التواصل مما أدى إلى وجود نتائج كارثية على مستوى الترجمة عبر التاريخ." (Berman، ١٩٩٩، صفحة ٧١)

- ✓ **الترجمة بالتغريب والتوطين:**

ارتبط مفهوما التغريب والتوطين بالترجمة الثقافية واخلاقياتها، فالتغريب أسلوب يسعى إلى الالتزام القوي بالنص الأجنبي، واستيراد أشكال الثقافة الأجنبية، وتطوير لهجات جديدة ومتنوعة، لذا يتسم النص بالشّكل الغريب على اللغة الهدف. ويستعمل مصطلح التوطين في أغلب الأحيان للإشارة إلى تطويع وتكييف السياق الثقافي أو مصطلحات ثقافة محدد.أما مصطلح التغريب فيشير إلى الحفاظ على السياق الثقافي الأصل من حيث مكونات المحيط والأسماء، إلخ.

✓ **الترجمة السلسلة:**

ترجمة السلسلة (fluency) هي من أهم المرتكزات التي تقوم عليها استرتيجية التوطين ولن تأتي هذه السلاسة إلا من خلال اختفاء المترجم وقد ربط فينوتي بين السلاسة وبين المكافئ الديناميكي لنايدا الذي يسعى إلى تحقيق مكاني طبيعي في اللغة المنقول إليها وهذا معناه – حسب فينوتي–" أن السلامة والتعبير الطبيعي يتضمن التوطين " (Venuti، ١٩٩٥، صفحة ١١) أما اختفاء المترجم فهو مصطلح استخدمه فينوتي لوصف وضعية المترجم ونشاطه في الثقافة الأنجلو أمريكية المعاصرة وهو يحيل على ظاهرتين تحدد بعضهما البعض، "فإحداها تعني بتأثير مضلّل للخطاب وباستغلال المترجم الشخصي للغة الانجليزية أما الأخرى فتختصّ بممارسة القراءة وتقيم الترجمات التي سادت ولزمن طويل في المملكة المتحدة والولايات المتحدة الأمريكية ضمن ثقافات أخرى سواء في اللغة الانجليزية أو لغة أجنبية أخرى " (Venuti، ١٩٩٥، صفحة ١٣)

يبدو أن فينوتي كان يقصد بمصطلح " اختفاء المترجم " شيئين اثنين: الأول متعلق بعمل المترجم حين يتجه إلى الترجمة تعنى بالتوجه نحو التعديل والتكيف الذي يجريه المترجم على النص لصالح اللغة المنقول إليها وهو حسب فينوتي – خطاب مضلّل يستغل فيه المترجم اللغة الانجليزية ويوهم القراء بأن

هو ذاته ما كان سيقصده الكاتب لو كتب بالانجليزية أما الظاهرة الثانية فتتعلق بتقييم الترجمات التي يجريها المراجعون والناشرون بمعيار واحد هو: السلاسة، ويصف فينوتي الترجمة السلسة بأنها تلك التي تستخدم الانجليزية المعاصرة بدلا من المهجورة، والتي تفضّل الألفاظ المألوفة والشائعة عوضا عن المتخصصة وتعتمد على اللغة القياسية مكان الدارجة، كما تتجنب استعمال التعابير البريطانية في الترجمات الأمريكية والتعابيرالامريكية في الترجمات البريطانية

إن ما تنتجه الترجمة السلسة هو ما يسمه فينوتي ب:" الشفافية (transparency) " وهي كذلك نتيجة لجهد المترجم في ضمان مقروئية سهلة وبسيطة لقرائه من خلال التقيد بالاستعمال المتداول، والحفاظ على تركيب الجمل المستمر وتحديد المعاني الدقيقة

- **أثر الترجمة في الثقافة**

تعمل الترجمة على إحداث نهضة ثقافية واقتصادية. فعندما تقوم الترجمة بنقل مفاهيم ثقافية من الثقافات وعلومها وتقنياتها إلى ثقافة أخرى فإنها تهيئ البيئة لتلاقح الثقافة المتلقية بغيرها، ومن ثم نموها وازدهارها وانتشارها، ولذلك يلاحظ الباحثون تناسبا طردية بين التقدم الحضاري وكمية الترجمة. فالبلدان التي تترجم أكثر هي التي تحقق تقدما اكبر، وإن اغنى عصور الفكر هي تلك التي تزدهر فيها الترجمة وتتوسع. أما ظاهرة اللغة العالمية فهي ليست تلك اللغة التي يتكلمها أكبر عدد من الناس، بل هي تلك اللغة التي ترجم إليها أكبر عدد من الأعمال من مختلف اللغات .

ولا يتوقف أثر الترجمة في التفاعل الثقافي عند إثراء الثقافة المتلقية بمعارف الآخر وعلومه، وإنما يمتد كذلك إلى تطوير اللغة المتلقية ذاتها، فالترجمة ليست نقلا بسيطا للنص، أو مرآة عاكسة له، أو استنساخا محضا لمضمونه، وإنما هي إعادة إنتاج للنص وتجديده وتحويله وتطويره حسب قدرات المترجم، لأنها ترتبط بفهم المترجم للنص وتأويله له وتطويعه اللغة المتلقية لاستيعاب مفاهيم النص ودلالاته، فالترجمة عملية حوار بين المؤلف الذي أنتج النص الأصلي، وبين المترجم الذي يعيد إنتاجه على الرغم من بعد الفترة الزمانية أو المكانية بينهما.

والترجمة كذلك عملية حوار بين لغتين بالإضافة إلى كونها حوارا بين ثقافتين، ويؤدي كل حوار فعال إلى تغيير وتبديل وتعديل في مواقف المتحاورين، ولهذا ينتج عن حوار الترجمة بين لغتين، تغيير في مفاهيم اللغة المنقول منها، وتطوير اللغة المنقول إليها، في مفرداتها وتراكيبها ودلالاتها واساليبها بالإضافة إلى استيعابها لمفاهيم جديدة تسعى بها الترجمة إلى تضيق الخلافات بين اللغات.

- **دور الترجمة في إثبات هوية الآخر**

لقد تعرض كذلك المنظر الفرنسي هنري ميشونيك إلى دور الترجمة في إثبات هوية الأخر والاعتراف به، فهو يرى أن مفهوم الشفافية في الترجمة يعكس جهل المترجمين، حيث أن الترجمة كما يعتقد ميشونيك ما هي إلا سوى إعادة تلفظ خاص لموضوع تاريخي يأخذ شكلين اثنين :

- الشكل الأول: الإزاحة عن المركز، وهو علاقة نصية بين نصين في لغتين و ثقافتين مختلفتين .
- الشكل الثاني: الإلحاق، والمقصود به محو هذه العلاقة، وبالتالي تكريس مفهوم إيديولوجيا الثقافة المهيمنة

كما يعتقد ميشونيك أن" هذا الإلحاق ينتمي في أكثر أشكاله حدة إلى: الإمبريالية الثقافية" (غيدير، ٢٠١١، صفحة ٩٤)، ولا يرى ميشونيك في أخلاقية الترجمة بأنها مسؤولية اجتماعية، وإنما هي بحث عن ذات تسعى لأن تكون ذات من خلال نشاطها حتى تصبح الآخر أو الغريب، وبهذا المعنى فإن "هذه الذات وصف على أنها كائن لغوي ذو ميزة أخلاقية وشعرية" (غيدير، ٢٠١١، صفحة ١٨٩)، كا يشير ميشونيك إلى أن ظاهرة التدخل في النص الأصل وتحويره وتغييره "تعتبر بمثابة نوع من الرقابة عليه خاصة عندما يعدُ المترجم إلى تحويل الأفعال إلى أسماء، وترجمة المفرد جمعا أو العكس، وذلك بنية إلحاق الأصل وتملكه وليس فقط أداؤه" (البحراوي، ١٠١٥، صفحة ٢١٦)، وفي تعليقه على المترجمين الذين يستخدمون الترجمة الحرة في المجال الأدبي وخاصة في ترجمة الشعر يقول الكاتب والمترجم المغربي حسن بحراوي: " إن أهم مؤاخذة على هؤلاء المترجمين أنهم يتصرفون في النص الأصل كما لو كان نصهم الخاص، ويأخذون حريتهم الكاملة في التدخل فيه عن طريق هدم تناسقه بأشكال الحذف والإضافات و تغيير مواضع الكلام، وممارسة جمالية الكلمة المفردة وليس الجملة كما هو مفترض، إلى جانب استخدام الكليات المهجورة وأشكال القلب والاقتباس والتحطيم للعلاقات المجازية زاعمين أن العمل الأدبي لا يكشف عن نفسه من أول وهلة، وأن كل ترجمة تشكل قراءة جديدة للأصل. " (البحراوي، ١٠١٥، صفحة ٢١٨).

إن مفهوم إيديولوجيا الثقافة المهيمنة تخفي وراءها النقاش القديم حول مفهوم الأمانة للمصدر الذي يضع الترجمة الحرفية في مقابل الترجمة بتصرف وهو نقاش قديم جديد يعكس بوضوح محاولة سيطرة إيديولوجيا الثقافة المهيمنة.

و لعلّ عدم صدور الترجمة عن خلفية ثقافية وفكرية محكمة الصياغة قد يسهم في خلخلة ابنيتنا الثقافية أكثر مما قد يسهم في إغنائها بين أحد مخافتين هما: العزلة والانغلاق الثقافي، مع ما ينجر عنه

من جمود وتحجر أو الانصهار في بوتقة العولمة، واندثار الخصوصية الثقافية، إذ تعمل الترجمة على محاولة إحلال التوازن من خلال فتح السبيل أمام حوار الحضارات، القائم على التبادل والاغتناء والأخذ والعطاء، لا المركز والإقصاء أو الهيمنة والإلغاء. يحدد سالم العيسى دور الترجمة، واهميتها، فيقول: "لا نخالف الحقيقة، عندما نؤكد بأن الترجمة هي متن المواكبة. فعن طريقها تتناسق الأفكار والمعطيات العلمية والتيارات الأدبية والفلسفية والإيديولوجية بعضها إلى بعض لتكون فكرا أو مصطلحا متقاربا أو واحدا في نهاية الأمر. وعندئذ يمكن أن تنتفي مقولة الشاعر البريطاني راديارد كبلنج الذي كان يدعو للإمبراطورية الأنكليزية في القرن الماضي عندما قال: «الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا.»" (العيسى، ١٩٩٩، صفحة ٩) .

والملاحظ أن هذه المقولة تنطلق من الاعتداد بالدور الإيجابي الذي تضطلع به حركة الترجمة باعتبارها من المواكبة، وسبيل تناسق الأفكار والمعطيات والتيارات، لكنها تخلص إلى أن الترجمة تؤدي في النهاية إلى خلق فكر متقارب أو واحد، وهي أي هذه المقولة لا تعتبر انصهار الثقافات المتعددة، و انحلال الخصوصيات في النموذج الواحد الأوحد – وهو على الأرجح النموذج الأمريكي الذي تسعى العولمة لنشره تلاشيا للهوية، واندثارا للثقافة والخصوصية، انما تعتبره شيئا إيجابيا .

ويكشف عبد الله إبراهيم المساعي الحقيقية للعولمة، وسلبيات ومخاطر تعميم النموذج الواحد، يقول: "كثيرا ما يصار التاكيد على أن الغاية الأساسية لنزعة العولمة هي تركيب عالم متجانس تحل فيه وحدة القيمة والتصورات، والغايات، والرزى والأهداف، محل التشتت والتمزق، والفرقة، وتقاطع الأنساق الثقافية ولكن هذه النزعة تختزل العالم إلى مفهوم، بدل أن تتعامل معه على أنه تشكيل متنوع من القوى، والإرادات والانتماءات، والثقافات، والتطلعات ووحدة لا تقر بالتنوع ستؤدي إلى تفجير نزعات التعصب المغلقة و

المطالبة بالخصوصيات الضيقة و قد ؤدي إلى ظهور إديولوجيات تضخّ مفاهيم جديدة حول نقاء الأصل و صفاء الهوية ." (إبراهيم، ٢٠٠٤، صفحة ٤٦٨)

والحقيقة التي لا يمكن إنكارها، أو التغاضي عنها، هي أن الترجمة أحد أهم العوامل التي ساعدت وتساعد العولمة على بلوغ مراميها، وذلك من خلال ترويجها للأفكار، وسعيها لترجمة النموذج الثقافي والحضاري الغربي لمختلف اللغات الإنسانية، وما الذي كان سيفيده تعدد اللغات في ضوء وحدة النموذج الفكري والحضاري.

وعلى هذا الأساس، فقد كان المترجم باعتباره يتوسّط ثقافتين وسيط بالمعنى الّديني و الطابع الإيديولوجي للكلمة يمثّل همزة وصل يواجه إكراهات عاتية متمثلة في مدى إمكانية التزام الحياد، والإضطلاع بأداء دوره دون إنحياز لأحد الثقافتين.

وسنحاول من خلال الأمثلة التطبيقية توضيح أهمية الترجمة في الحفاظ على هوية الأخر وصون ثقافته .

- ✓ **أمثلة حول حفاظ الترجمة للهوية الثقافية**

تبين الأمثلة الآتية كيف أن الترجمة تساهم بعمق في الحفاظ على الهوية الثقافية للأمم والجماعات إذ نجد في كثير من الدراسات الترجمية خاصة في ترجمة المصطلح الإسلامي في القرآن الكريم مثل كلمة : الله، الحج، إمام، سنّة، حديث، ويمكن أن نجد هذه المصطلحات في القواميس الفرنسية – الفرنسية على الشكل الآتي Allah , Hadj , Imam Sunna , Hadith : ، وهذا يعكس الهوية الإسلامية العربية بحكم أن القرآن عربي والسنة كذلك، فكلمة مثل " Sunna " تعكس بوضوح أن هناك أحاديث نبوية قالها النبي صلى الله عليه وسلم أو فعلها أو أقرها وهي مصدر من مصادر التشريع،

ونقله إلى اللغة الفرنسية بهذا الشكل أي باستعمال ترجمة الحرف بصفة عامة، يحفظ الهوية الإسلامية والعربية بحكم أن اللغة الفرنسية وهويتها وثقافتها لا تمتلك هذه التجربة وليس لديها ما نسميه نحن بالسنة لكنها ترجمتها بالحرف الفرنسي.

- ✓ **أمثلة حول تشويه الترجمة للهوية الثقافي**

تبين هذه الأمثلة كيف أنه تم تشويه هوية وثقافة اللغة المنقول منها من أجل الاستجابة لتطلعات القراء في اللغة المستقبلة وذلك باستعمال المكافئ الديناميكي وتقنية التأثير المكافئ التي اقترحها نايدا، وهي أمثلة استقيناها من كتاب يوجين نايد بعنوان " نحو علم الترجمة " ومن بين تلك الأمثلة: هذا المثال الذي يوضح فيه نايدا كيف أن سكان لغة لاهو " Lahu " ، وهي إحدى لغات بورما و جنوب غرب الصين، لا يقفون احتراما لزعمائهم وهو عرف يسود سكان تلك المنطقة ويعتبر جزءا لا يتجزأ من هويّتهم الثقافية، والمثال هو كالآتي " Stand up , stand up for Jesus" :أي " انهض، انهض من أجل المسيح " (ترجمتنا)، – وحسب نايدا – فإنه يجب ترجمتها لسكان لاهو " " كالآتي "Stand firm " : أي: "ابق متمسكا من أجل المسيح " وليس انهض من أجل المسيح لأن ذلك ينافي عادات و ثقافة سكان لغة "لاهو" (Nida، ١٩٦٤، صفحة ٢١٩). وقد ضرب نايدا الكثير من الأمثلة في هذا السياق من أجل إحداث نفس استجابة لغة المصدر لدى قراء لغة المتلقي خاصة في العبارات الخارجة دلالية عن المركز، وهنا يقصد نايدا الصور البيانية والبلاغية كالعبارات الكنائية، والتشبيه، والمجاز وغيرها، وهي عبارات يصعب ترجمتها –حسب نايدا – لأنه يتعسّر فهمها في لغة المتلقي، وفي مثل هذه الحالات يكون المرء مجبرا على إجراء بعض التعديلات في الترجمة والمثال هو كالاتي grid up the loins of your " : " mind، فإذا ترحمناها ترجمة حرفية فانها تكون كالاتي "ضع حزاما حول أوراك أفكارك " ويرى نايدا أنه لا يجب أن نترجمها ترجمة حرفية وإنما في ظل هذه الظروف فإننا يجب أن تتحول من العبارة الخارجة

عن المركز إلى شكل العبارة الداخلة في المركز وتكون ترجمتها بالتالي " استعد في تفكيرك"، ويبدو من خلال هذا المثال أن نايدا لا يحب بل يرفض النقل الحرفي الذي لا تكون للعبارة فيه حينئذ أي معنى في مركز وسياق المتلقي وبالتالي تكون خارجة عنه ومن أجل أن نترجمها وفق المكافئ الديناميكي أو الطبيعي لابد أن ندخلها في مركز وفهم سياق المتلقي. (Nida، ١٩٦٤، صفحة ١٧١)

وهنا نلاحظ تشويه ومسخ هوية وثقافة اللغة المصدر لصالح هوية وثقافة اللغة المستقبلة، ونستطيع أن نصف هذه الترجمات بالتوطينية، والسلسة، والشفافة باستعمال المكافئ الديناميكي من أجل إحداث تأثير مكافئ استجابة لتطلعات قراء اللغة المستقبلة على حساب اللغة المصدر .

- **الخاتمة:**

الخاتمة تكتسي الترجمة أهمية كبرى في الحفاظ على الهوية الثقافية للأمم والشعوب ونحن هنا لا نجزم بأن الترجمة هي وحدها والوحيدة من يقوم بهذه المهمة الصعبة وإنما الترجمة هي أحد العناصر التي لا يستهان بها في الحفاظ على اختلاف التجربة الإنسانية باعتبار أن إحدى الخصائص الكبرى للّسان البشري وهو أن يتم فيه التعبير عن الأنا و الذاتية وهي من مميزات اللغة البشرية التي تسعى الترجمة إلى ابرازها حتى تكون الآخر ،لأنها تنقل من الأنا إلى الآخر، وقد اضطلعت الترجمة باستعمال استراتيجيات التغريب وترجمة الحرف والترجمة المقاومة وهي أداة يمكن استعمالها في هدم الأيديولوجيات الاستعمارية والامبريالية الثقافية من أجل إعادة بناء الهوية الثقافية للجماعات المغلوبة على أمرها ومنه إلى إثبات الذات والهوية الوطنية والثقافية، و من هنا سنعرض أهم النتائج التي توصلنا إليها:

- إن الترجمة ليست مجرد وسيط يبحث عن المكافئات من لغة إلى أخرى.

– ليست الترجمة مجرد فعل لغوي فقط وإنما هي فعل ثقافي وحضاري يساهم في الحفاظ على الهوية الثقافية للأمم والجماعات كما يساهم في بناء الحضارة الإنسانية.

– من خلال تحليل الأمثلة السابقة بدا لنا أن إستراتيجية التكافئ الشكلي و الديناميكي و التغريب و التوطين والترجمة التحويلية وترجمة الحرف و ترجمة السلسلة .... هي كلها من أنجع الأساليب والمناهج التي لا تسعى إلى محو هوية الآخر وثقافته ولغته بل تساهم في اثباتها و اضهارها.

تبين لنا من خلال هذا البحث أن الترجمة بالمكان والترجمة الشفافة ....كلها أساليب لا تنقل بعمق لغة وثقافة اللغة المنقول منها إذ أن همها الوحيد هو فقط مقابلة ما يكافئ ذلك في اللغة المستهدفة.

يمكن للترجمة بوصفها فعلا حضاريا وثقافيا أن تكون أحد السدود المنيعة ضد الهيمنة الإمبريالية للأمم الغالبة إذا انتهجنا إستراتيجية التغريب ضد التوطين، واستراتيجية الحرف مقابل الترجمة بالمكافئ والترجمة السلسة.

- قائمة المصادر و المراجع

- Antoine Berman .(١٩٩٩) .*la traduction et la lettre ou l'Auberge du lointain .* Edition du Seuil.

- Eugence Nida .(١٩٦٤) .*toword a science of translating (translating with special referenceto principles and prosedures involved in bible translating .)*Netherlands: LAIDEN,E,J,BRILL,Ntherlands.

- Lawrence Venuti .(١٩٩٥) .*The translator's invisibility (a history of translation) .*London :Rutledge.

- أحمد علي كنعان. (٢٠٠٨). *الشباب الجامعي و الهوية الثقافية في ظل العولمة الجديدة : دراسة ميدانية على طلبة جامعة ديمشق.* ديمشق: ديمشق عاصمة الثقافة العربية .

- حسن البحراوي. (١٠١٥). *مأوى الغريب (دراسات في شعرية الترجمة)* (الإصدار ط١). القاهرة: المركز القومي للترجمة.

- دافيد جاسبير. (٢٠٠٧). *مقدمة في الهرمينوطيقا : ترجمة وجيه قانصوا* (الإصدار ط١). الجزائر: منشورات الاختلاف.

- سالم العيسى. (١٩٩٩). *الترجمة في خدمة الثقافة الجماهيرية.* دمشق، : إتحاد الكتاب العرب.

- سعيد إسماعيل. (١٩٩٧). التربية الإسلامية وتحديات القرن الحادي والعشرين. *المسلم المعاصر*، ٩٥.

- عبد السلام المسدي. (٢٠١٣). *اللغة و الهوية في الوطن العربي* (الإصدار ط١). بيروت: المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات.

- عبد الله إبراهيم. (٢٠٠٤). *المطابقة والاختلاف :بحث في نقد المركزيات الثقافية* (الإصدار ط١). بيروت: المؤسسة العربية للدراسات و النشر.

- لزهر العقيبي. (٢٠١٢). *جدلية الفهم و التفسير في فلسفة بول ريكور* (الإصدار ط١). الجزائر: منشورات الاختلاف.

ماثيو غيدير. (٢٠١١). *مدخل إلى علم الترجمة (التّأمل في الترجمة ماضيا و حاضرا و مستقبلا) : ترجمة أد. أحمد طجوا* . الرياض: النشر العلمي و المطابع .

- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي. (بلا تاريخ). *قاموس المحيط : مادة الترجمان* .

- محمد الوقيدي. (١٩٨٣). *العلوم الانسانية و الإيديولوجيا* . بيروت: دار الطليعة للطباعة و النشر .

- محمد بهاوي. (٢٠١٢). *في فلسفة الغير ، نصوص فلسفية مختارة و مترجمة* (المجلد ج٦). المغرب: إفريقيا الشرق.

- محمد بو عزة. (٢٠١١). *استراتيجية التأويل : من النصية إلى التفكيكية* (الإصدار ط١). الجزائر: منشورات الاختلاف.

- محمد عمارة. (١٩٩٩). *مخاطر العولمة علي الهوية الثقافية*. مصر القاهرة: دار النهضة .

<u>قواميس:</u>

- الفيروزأبادي. (بلا تاريخ).

- *المنجد في اللغة و الأعلام مادة ترجم .* (بلا تاريخ).